مجلة الدراسات الإيرانية

دراسـات وأبحـاث علميـة متخصصـة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة السابعة – العدد السابع عشر – أبريل 2023م

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني
الدور وحدود التأثير في السياسة الخارجية الإيرانية

د. حمـــدي بشيـــر

باحـث فـي قضايـا الأمـن الإقليمـي

مقدمـــة

تولِّي طهران تطوير برنامجها للطائرات المسيَّرة (دون طيّار) اهتمامًا متزايدًا، وتوظيف هذا البرنامج في تحقيق أهداف سياساتها الخارجية. وقد كشفت التحركات السياسية الإيرانية عن هذا الاهتمام، إذ أشارت عدة تقارير عن اتجاه طهران إلى تزويد موسكو بطائراتها المسيَّرة خلال الحرب الروسية-الأوكرانية، واعترف وزير الخارجية الإيراني حسـين أمير عبد اللهيان، في 05 نوفمبر 2022م، بأن بلاده زودت موسكو بعدد صغير من الطائرات المسـيَّرة قبل أشـهر قليلة من بدء الحرب، فيما أعلنت طهران عن بناء مصنع للطائرات المسيَّرة في طاجيكستان في 17 مايو 2022م، وأطلق الجيش الإيراني في 24 أغسـطس 2022م مناورات للطائرات المسـيَّرة بمياه الخليج العربي وبحر عمان جنوب إيران، وهو ما يثير التساؤلات حول دور وتأثير برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني في السياسـة الخارجية الإيرانية. بناءً على ذلك، تبحث هـذه الورقة حدود التطور في هذا البرنامج، والدوافع العسكرية والسياسـية لتطويره، وحدود تأثيره في السياسة الخارجية الإيرانية، وتداعياته على الأمن والاستقرار الإقليمي.

أولًا: حدود التطور والتأثير في برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني

خضع برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني لتقييمات مختلفة من جانب الأجهزة العسكرية والاستخباراتية الدولية والإقليمية، ما بين رؤى تؤكد تطور البرنامج وتصنيفه باعتباره «تهديدًا كبيرًا»، ورؤى تتحدث عن تضخيم إعلامي من جانب طهران لقدراتها في مجال تكنولوجيا الطائرات المسيَّرة. وقد وصف تقرير وكالة المخابرات الأمريكية لعام 2019م برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني بأنه «القدرة الجوية الإيرانية الأسرع تقدمًا»[1]. وأشار قائد القيادة المركزية الأمريكية الجنرال كينيث ماكنزي، في شهادته في أبريل 2021م أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ الأمريكي، إلى أن الطائرات المسيَّرة الصغيرة والمتوسطة الحجم التي تنشرها إيران ووكلاؤها «تشكل تهديدًا جديدًا ومعقدًا لقواتنا وقوات شركائنا وحلفائنا. ولأول مرة منذ الحرب الكورية نعمل من دون تفوق جوي كامل. وإلى أن نتمكن من تطوير وإيجاد قدرة شبكية لاكتشاف وإلحاق الهزيمة بها، ستظل الميزة مع المهاجم»[2]. وبلا شك تثير هذه التصريحات مزيدًا من الاهتمام لمعرفة حدود التطور في هذا البرنامج، وذلك على النحو التالي:

1. مراحل التطور:

واصلت طهران في أعقاب الحرب مع العراق تطوير الطائرات المسيَّرة، وذلك من خلال «شركة القدس لصناعة الطيران» التابعة للحرس مع «شركة إيران لتصنيع الطائرات تحت إشراف وزارة الدفاع»، و«القوة الجوية» التابعة للحرس الثوري التي واصلت إدارة برنامجها الخاص الشامل، المتعلق بالبحث والتطوير في مجال الطائرات المسيَّرة ضمن «شركة شاهد لصناعة الطيران»[3]، واعتمدت طهران بشكل كبير خلال هذه المرحلة دراسة مكونات الطائرات المسيَّرة الأمريكية التي تحطمت في إيران.

أما المرحلة الثانية، فتمثَّلت في إنتاج الطائرات المسيَّرة الهجومية؛ حيث خطت طهران خطوة أكبر في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بكشفها عن مجموعة كبيرة من النماذج الاستطلاعية والهجومية والانتحارية، وتطوير أجيال حديثة من الطائرات المسيَّرة مثل «شاهد 136» و«مهاجر 6». وقد أشار تقرير وكالة المخابرات الأمريكية لعام 2019م إلى تطوير طهران لما يقرب من خمسة عشر طرازًا مختلفًا من الطائرات المسيَّرة، لا سيما تطوير طراز أبابيل قصيرة المدى (أبابيل-إس) ومتوسطة المدى (أبابيل-2) وبعيدة المدى (أبابيل-تي)[4]. وفي عام 2016م أعلنت طهران عن أول طائرة مقاتلة محلية الصنع، «الصاعقة»، وهي تمثل في الواقع الجيل الجديد من الطائرة «سيمرغ»، وهي طائرة مقاتلة تحلق على ارتفاع متوسط، ويبلغ مداها 2000 كم ويمكنها التحليق في الجو 24 ساعة، وهي قادرة على استهداف أربع نقاط بدقة عالية وفي ذات الوقت، كما طورت طهران طائرة «فطرس»، وهي طائرة مسيرة تعمل عن بُعد بإعطائها إحداثيات مسبقة قادرة على التصوير ونقل المعلومات، وتُستخدم لأغراض حماية الحدود البحرية والبرية، وهي نسخة مطورة من «شاهد 129» (طائرة استطلاع وهجوم وتتمتع بقدرة تحليق كبيرة تصل إلى 24 ساعة وحمولة قصوى تصل إلى 400 كغم)، وقد رفعت سرعتها إلى 300 كم/الساعة، وتحلق في الجو لمدة 30 ساعة[5].

وفي المرحلة الثانية، اتجهت إيران إلى تصدير الطائرات المسيَّرة للخارج. وفي هذه المرحلة، أبدت طهران اهتمامًا متزايدًا بنقل تكنولوجيا الطائرات المسيَّرة للحلفاء والوكلاء، وبالتالي لم يعُد امتلاك الطائرات المسيَّرة حكرًا على الحكومات، ولكن انتقلت إلى الجماعات والميليشيات (الفاعلين غير الدوليين)، ونقلت طهران منذ عام 2018م بعض طائراتها إلى وكلائها في اليمن ولبنان وسوريا والعراق من خلال فيلق القدس. كما اتجهت إلى تصدير طائراتها خارج منطقة الشرق الأوسط، فيما وجهت واشنطن وكييف والدول الأوروبية اتهامات إلى طهران بتصدير طائراتها إلى روسيا منذ بداية الحرب الروسية-الأوكرانية (في فبراير 2022م)[6]، كما أعلنت طهران في 17 مايو 2022م عن إنشاء خطوط إنتاج الطائرات المسيَّرة في طاجيكستان[7]. وبذلك انتقلت طهران من مرحلة التصنيع لسد احتياجاتها المحلية من الطائرات المسيَّرة إلى مرحلة جديدة بتصدير هذه الطائرات إلى الخارج، ومن ثم التنافس مع القوى الدولية والإقليمية المنتجة للطائرات المسيَّرة.

2. القدرات وحدود التأثير:

فيما يخص القدرات التسليحية والتأثير، فتشير التقارير إلى أن البرنامج الإيراني في الطائرات المسيَّرة قد اجتاز عديدًا من مراحل التسليح، فيمكن أن تحمل غالبية الطائرات المسيَّرة الإيرانية قنابل موجهة، وتسعى طهران إلى تسليحها بصواريخ قادرة على الوصول إلى أهداف تصل إلى 8 كيلومترات. وقد نجحت شركات ناشئة إيرانية مرتبطة بالحرس الثوري في تطوير طائرات مسيرة تعمل بالطاقة الشمسية، وطورت نماذج حديثة بأجهزة توجيه الملاحة (الملاحة الجيروسكوبية)، وعلى سبيل المثال، تجهيز نوعين من الطائرات المسيَّرة -هما «شاهد-149» و«فطرس» بهوائيات أقمار صناعية، ما يمنحهما قطرًا تشغيليًّا يبلغ 500 كيلومتر أو أكثر. وتشير التقارير إلى أن الجيل الأحدث من الطائرات الإيرانية دون طيار يصل مداها إلى 1000 كيلومتر وفترة تحليق تصل إلى 24 ساعة[8]. كما يمكن لطائرة من طراز «شاهد 129»، وفقًا للمسؤولين الإيرانيين، التحليق لمدة 24 ساعة وحمل ما يصل إلى ثمانية صواريخ جو-أرض. وبالإضافة إلى ذلك، يتوقع أن يعزز إطلاق الحرس الثوري أول قمر صناعي عسكري من تطور برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني، لا سيما النماذج التي جرى اختبارها بالفعل مثل «مهاجر 6» و«شاهد 129»، وطائرة «فطرس» وهي الأكبر والأكثر قدرة لدى الحرس الثوري الإيراني[9].

لكن على الرغم من التطور، الذي شهده برنامج الطائرات الإيرانية، والتضخيم الإعلامي من جانب إيران لمستوى التقدم الذي وصلت إليه قدرات الطائرات المسيَّرة الإيرانية، فإن هذه الطائرات في الواقع أثبتت قدرتها على التأثير المحدود في الصراعات الجارية، إذ استُخدمت لشن هجمات عبر الحدود على البنية التحتية العسكرية والنفطية السعودية، ونجحت أنظمة الدفاع السعودية في إسقاط عديد منها. وحتى الآن لم تحقق هذه المسيرات أي تحولات أو مكاسب إستراتيجية لروسيا في الحرب في أوكرانيا، فرغم تركيز الجيش الروسي على استهداف البنية التحتية والأهداف المدنية بالمسيرات الإيرانية[10]، فإنّ الجيش الأوكراني استطاع إسقاط أكثر من 70 في المئة من طائرات «شاهد-136»، باستخدام أنظمة دفاع متطورة، لا

سيما الأنظمة المضادة للطائرات المسيَّرة التي زودت الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي الجيش الأوكراني بها[11].

وعلى أي حال، يشـير عديد من الخبراء إلى أن الميزة الفريدة التي تتمتع بها طهران في إنتاج هذه الطائرات هي انخفاض تكلفة إنتاجها مقارنة بنظيرتها الأمريكية أو التركية أو الإسرائيلية. وعلى سبيل المثال، تبلغ تكلفة إنتاج الطائرة «شاهد 136» نحو 20 ألف دولار. ويقول مسؤولون سابقون في المخابرات الأمريكية إن عديدًا من نماذج الطائرات المسيَّرة الإيرانية هي في الأصل طائرات مستنسخة من المسيرات الأمريكية. وعلى سبيل المثال، الطائرة الإيرانية من طراز «كرار» مستنسـخة من الطائرة الأمريكية من طراز «بريداتور»، والطائرة المسيَّرة الإيرانية من طراز «سـيمرغ»، التي جرى استنساخها من الطائرة «آر كيو 170»، التي أسقطتها طهران في عام 2011م[12]. وتشير بعض التقارير أيضًا إلى أنه رغم التطور الذي وصلت إليه صناعة الطائرات المسـيَّرة الإيرانية فإنها تواجه أنظمة دفاع أمريكية أكثر تطورًا، قادرة على تدمير المسيرات عن بُعـد، وقد نصبتها الولايات المتحدة بالفعل على حاملة طائراتها في مياه الخليج. كما يمتلك عديد من القوى الإقليمية مثل إسـرائيل أنظمة دفاع متقدمة مثل «القبة الحديدية» ويمكنها إسـقاط عديد من هذه الطائرات، وتسـعى دول الخليـج العربية إلى تطويـر قدراتها الدفاعية والحصول على أحدث الأنظمة الدفاعية للتعامل مع تهديدات الطائرات المسيَّرة.

ثانيًا: دوافع تطوير وتصدير إيران للطائرات المسيَّرة ومناطق نشرها

يضطلع الحرس الثوري بدور رئيسـي ومحوري في تطوير برنامج الطائرات المسـيَّرة الإيراني، إذ أكد قائد فرقة الطائرات المسيَّرة داخل الحرس الثوري أكبر كريملو، في حديث صحفي عام 2020م مع «تسـنيم نيوز»، دور هذا السلاح الجديد في تعزيز القدرات العسكرية الإيرانية، وقال: «من المتوقع أن تكون الطائرات دون طيار أفضل سلاح ونظام في المستقبل في خدمة القوات المسلحة لبلدنا الحبيب»[13]. ومع ذلك، ثمة ما يشير إلى توظيف طهران قدراتها في مجال الطائرات المسيَّرة في تحقيق أهداف السياسة الخارجية.

1. الدوافع العسكرية:

أ- تعزيز القدرات: تسـعى إيران أولًا إلى تعزيز قدراتها من خلال هذا البرنامج، الذي يلعب دورًا هامًّا في الإستراتيجية العسكرية لطهران، لا سيما في تعزيز قدرات جمع المعلومات والاستطلاع والهجوم وتعويـض أوجه القصور التقليدية، خصوصًا في ما يتعلق بمنصات الرمايات البعيدة المـدى، وزيادة اعتمـاد إيران على الوسـائل غير التقليديـة بديلًا عن الوسـائل التقليدية غير المتوفرة[14].

كما تسعى إيران من وراء هذا البرنامج إلى كشـف نقاط الضعف في أنظمة دفاع العدو (الخصم)، إذ هدفت طهران من تصدير هذه الأسلحة إلى الخارج إلى اختبار فاعليتها وتأثيرها في مواجهة أنظمة دفاع الخصوم[15]، لا سيما كشف نقاط الضعف في الدفاعات الجوية السعودية عـن طريق تزويد الحوثيين بطائرات بعيدة المدى مثل «شـاهد -136»، التي ظهرت في اليمن بحلول سـبتمبر 2020م[16]. وكذلك الحال بالنسبة إلى تصدير طهران طائرات مسيرة لروسيا في

حربها ضد أوكرانيا بغرض التعرف على نقاط الضعف في أجهزة الدفاع الغربية التي منحتها الدول الغربية لأوكرانيا.

بالإضافة إلى ذلك، تسعى إيران إلى إحداث تغيير في معادلة توازن القوى الإقليمية، لا سيما مع اتجاه المنافسين الإقليميين إلى تطوير قدراتهم في هذا المجال، وبصفة خاصة تركيا وإسرائيل، إذ تأتي إسرائيل في مرتبة متقدمة بين الدول المنتجة للطائرات المسيَّرة، وقد بقيت حتى عام 2014م المصدر الرئيسي للطائرات المسيَّرة في العالم، واستحوذت على 61 في المئة من الصادرات العالمية[17]، فيما كان لافتًا صعود تركيا السريع والحيوي إلى نادي الدول التي تمتلك طائرات مسلحة من دون طيار، منذ أن أشرفت شركة «بيكار تكنولوجيز» (Baykar Technologies) بحلول عام 2015م على البرنامج، وحققت سلسلة من الإنجازات في تطوير طائرة «بيرقدار» التركية، وصدرت تركيا إلى نحو 16 بلدًا، منها على سبيل المثال أوكرانيا وأذربيجان والمغرب وتونس وقطر وتركمانستان[18]، فيما اتجهت قوى إقليمية أخرى مثل مصر والإمارات والسعودية لتطوير قدراتها[19]، الأمر الذي عزز التوجه الإيراني لتطوير برنامج الطائرات المسيَّرة للحفاظ على معادلة التوازن الإقليمي.

وأخيرًا تستهدف إيران زيادة المبيعات العسكرية للدول الصديقة؛ لتعزيز قدراتهم في مواجهة الخصوم المشتركين، أو جني عوائد مالية لرفد الميزانية المتأثرة بالعقوبات بالعملة الصعبة، فمنذ وصول الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إلى السلطة في أغسطس 2021م، سعت طهران إلى تصدير طائراتها المسيَّرة خارج نطاق شركائها ووكلائها في المنطقة، إذ يشير بناء طهران لمصنعها للطائرات المسيَّرة في طاجيكستان إلى اهتمامها بتعزيز صادراتها العسكرية إلى طاجيكستان ودول أخرى، ففي حفل افتتاح المصنع بطاجيكستان صرح رئيس أركان القوات المسلحة الإيرانية محمد باقري بالقول: «نحن في موقف، بصرف النظر عن تلبية احتياجاتنا المحلية، يمكّننا من تصدير المعدات العسكرية إلى الدول الحليفة والصديقة للمساعدة في زيادة الأمن والسلام المستدام»[20].

2. الدوافع الجيوسياسية:

تهدف إيران من وراء برنامج الطائرات المسيَّرة إلى الدعاية والردع، إذ يلعب برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني دورًا دعائيًّا للنظام الإيراني في تعزيز سمعته وهيبته السياسية وتعزيز خطابه القومي، وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى رسائل طهران من وراء تنظيم مناورات الطائرات المسيَّرة في 24 أغسطس 2022م بمياه الخليج العربي وبحر عمان[21]، إذ هدفت طهران من إجرائها في هذا التوقيت إلى صرف الأنظار عن الاحتجاجات الداخلية المتنامية، كما ترسل طهران بهذه المناورات رسائل إلى خصومها في المنطقة بأنها قادرة على إظهار قوتها في جميع أنحاء المنطقة باستخدام أحدث التقنيات العسكرية، حتى في مواجهة نظام العقوبات الدولي وحظر الأسلحة[22].

كما تسعى إيران إلى توظيف برنامج الطائرات المسيَّرة أداةً جيوسياسية لتعزيز النفوذ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، عبر تزويد الميليشيات الموالية لطهران بالخبرة التقنية لتصنيع هذه الطائرات والتدريب على استخدامها بما يساعد على ترسيخ نفوذ هذه الميليشيات، مثل حزب الله في لبنان والميليشيات الحوثية في اليمن والميليشيات الموالية في العراق. والحال كذلك

عنـد تقديم هذه الطائرات المسـيَّرة للدول الصديقة مثل فنزويلا، إذ تهدف طهـران إلى تعزيز نفوذها وترسيخه في أمريكا اللاتينية[23].

ويشير مراقبون إلى توظيف طهران الطائرات المسيَّرة ورقةً للضغط على الخصوم الإقليميين، خصوصًا المملكة العربية السعودية، لا سيما من خلال تكثيف الهجمات التي شنتها الميليشيات الحوثية بالطائرات المسيَّرة على منشآت النفط السعودية[24]، أو ممارسة ضغوط وامتلاك أوراق ضغط في أوراق التفاوض مع الولايات المتحدة والدول الأوروبية في المفاوضات حول برنامجها النووي.

بالإضافة إلى منافسة الحضور التركي والإسرائيلي والعربي في المناطق الإستراتيجية، يشير بناء طهران مصنعًا لتصنيع الطائرات المسـيَّرة في طاجيكستان إلى اهتمام إيراني بموازنة الوجود التركي والإسرائيلي في منطقة آسيا الوسطى. وقد أشار عديد من التقارير والدراسات إلى دور المسيرات التركية في دعم أذربيجان في حرب قره باغ التي اندلعت بين أذربيجان وأرمينيا في 27 سـبتمبر 2020م، ناهيك بالدور الإسـرائيلي، إذ تشير التقارير إلى تزويد إسـرائيل لأذربيجان بنحو 70% من الطائرات المسيَّرة الأذربيجانية[25]. أضِف إلى ذلك أن بناء طهران لمصنع الطائرات المسيَّرة في طاجيكستان يمكّن طهران من مواجهة النفوذ السعودي، إذ أدت العلاقات بين دوشانبي والرياض إلى تصاعد التوترات بين دوشانبي وطهران خلال رئاسة روحاني. ولذلك التقى الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسـي نظيره الطاجيكي في طهران في 30 مايو 2022م بعد أسبوعين تقريبًا من افتتاح المصنع لمناقشة تعميق التعاون الثنائي في مختلف المجالات[26].

ثالثًا: أهم مناطق توظيف برنامج الطائرات المسيَّرة

من المثير للاهتمام اتجاه طهران إلى اسـتخدام الطائرات المسـيَّرة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية في عديد المناطق الإسـتراتيجية، بما يعزز نفوذها وحضورها الإسـتراتيجي، وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى دراسات الحالة التالية:

1. الطائرات المسيَّرة في منطقة المغرب العربي:

وهـي من المناطق الهامة التي تسـعى طهران إلى تعزيز حضورها الثقافي والديني والسياسـي والعسكري فيها، لكنها تواجه منافسة كبيرة من جانب إسرائيل ودول مجلس التعاون الخليجي، وهي القـوى التي نجحت في توطيد علاقاتها مع المغرب الذي يمثل حجر عثرة أمام السياسـة الإيرانية في المنطقة، خصوصًا بعد قطع العلاقات بين الرباط وطهران منذ عام 2015م، ناهيك بتوقيع المغرب وعدد من الدول العربية مثل الإمارات والبحرين اتفاقيات إبراهيمية وانضمامه إلى ما يسمى «منتدى النقب» الذي يضم الدول الموقعة على «الاتفاقيات الإبراهيمية»، لذلك استثمرت طهران التوترات المتنامية بين الجزائر وكل من المغرب ودول مجلس التعاون الخليجي في تعزيز علاقاتها مع الجزائر وجبهة البوليسـاريو، خصوصًا في سياق الاهتمام الجزائري بضبط معادلة توازن القوى في مواجهة المغرب، الذي يتجه بشكل متسارع إلى تعزيز ترسانته العسكرية بعد تعزيز علاقاته السياسية والعسكرية والأمنية مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، إذ زادت وتيرة التعاون العسكري بين تل أبيب والرباط، ما مكن المغرب من الحصول على أحدث

الأسلحة من إسرائيل، بما في ذلك الطائرات المسيَّرة الإسرائيلية[27]، وهو ما قد يفتح الباب أمام تعاون عسكري جزائري إيراني، بما في ذلك التعاون في مجال المسيرات.

2. الطائرات المسيَّرة في منطقة القرن الإفريقي:

تسعى طهران إلى تعزيز حضورها ونفوذها في المنطقة بسبب موقعها القريب من مدخل البحر الأحمر ومضيق باب المندب، ولذلك استثمرت طهران في الصراع الدائر بين الحكومة الإثيوبية وجبهة التيغراي قبل التوصل إلى اتفاق سلام في نوفمبر الماضي، خصوصًا في سياق التوترات المتزايدة بين واشنطن وأديس أبابا بسبب الحرب في إقليم التيغراي التي وفرت الفرصة الملائمة لإيران للتقرب من أديس أبابا وتزويدها بالطائرات المسيَّرة، وقد هدفت بذلك إلى دعم السياسة الإثيوبية التي قاومت الضغوط والعقوبات الأمريكية خلال فترة الحرب في التيغراي، ومنع جبهة التيغراي من تحقيق انتصار ميداني وسياسي بشكل يعزز من المكاسب السياسية لواشنطن، ومن ثم تعزيز نفوذها في إثيوبيا، فيما تقاطعت المصالح الإيرانية مع المصالح الروسية والصينية في إثيوبيا، إذ واصلت موسكو وبكين دعمهما السياسي والعسكري لأديس أبابا في مواجهة الضغوط الأمريكية، وهو ما منح طهران مساحة للتحرك في المنطقة. ومع ذلك، لا تزال السياسة الإيرانية تواجه تحدي تعزيز حضورها في المنطقة في ضوء النفوذ الخليجي المتنامي في المنطقة، وعودة الهدوء النسبي إلى العلاقات الأمريكية-الإثيوبية بعد التوصل إلى اتفاق سلام بين الحكومة الإثيوبية وجبهة التيغراي.

3. الطائرات المسيَّرة في آسيا الوسطى:

وهي من المناطق الإستراتيجية الهامة التي تسعى طهران إلى تعزيز حضورها فيها، لا سيما بعد وصول حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان، والحضور السعودي والتركي والإسرائيلي في المنطقة، وبعد أن اتجهت أنقرة إلى تزويد أذربيجان بالطائرات المسيَّرة في حربها مع أرمينيا، وأيضًا تزويد إسرائيل أذربيجان وعديد من دول المنطقة بطائراتها المسيَّرة، لذلك يشير مراقبون إلى أن بناء طهران لهذا المصنع في طاجيكستان يحقق لها عديدًا من الأهداف، ومن أهمها الحصول على ملاذ آمن من الضربات العسكرية الإسرائيلية التي قد يتعرض لها مصنع الطائرات المسيَّرة في طهران، بيد أن ثمة من يرى أن بناء طهران لمصنع الطائرات المسيَّرة في طاجيكستان في هذا الوقت هو استثمار إيراني لفرصة انخراط روسيا في حرب ضد أوكرانيا، فرغم أن موسكو تتمتع بنفوذ واسع ولديها قواعد عسكرية في عديد من دول المنطقة، وتعمل على حماية نفوذها ضد محاولات اختراقها من جانب السياسة الأمريكية والغربية، فإنها لم تبدِ ممانعة ولا اعتراضًا على بناء طهران لهذا المصنع، ناهيك بالتفاهمات بين البلدين تجاه سياسة الولايات المتحدة والدول الغربية، إذ جاء قبول روسيا لمصنع الطائرات الإيراني في طاجيكستان في سياق تصاعد التوترات الروسية-الغربية بعد تدخُّل موسكو عسكريًّا في أوكرانيا في فبراير 2022م، فيما ترى طهران وفق مبادرة التوجه شرقًا أن «روسيا هي أحد أقطاب القوة الرئيسية إلى جانب الصين»[28].

ومن ناحية أخرى فإن التوغل الإيراني في المنطقة قد يسمح لطهران بمساومة موسكو، ويتيح لها هامشًا من المناورة السياسية مع واشنطن والدول الغربية، إذ إنّ المنطقة تزخر بفرص لشراكات سياسية واقتصادية وإستراتيجية جديدة، من شأنها أن تخفف العزلة التي تفرضها

الـدول الغربيـة على طهران، وبما أن روسـيا حـارس مهم للنفوذ في المنطقة، فيمكن لطهران المساومة معها على تموضع قوي في المنطقة. في الوقت نفسه يمكن لطهران أن تحقق بعض المكاسب في حال استطاعت دفع المفاوضات حول برنامجها النووي وتعزيز فرص التقارب مع الاتحاد الأوروبي (من خلال إقامة ممـر النقل الدولي المقترح من إيران إلى الخليج العربي والبحر الأسـود)، في حين أن الحضور التركي في المنطقة يدفع الطرفين الروسـي والإيراني إلى مزيد من التعاون، خصوصًا إذا اتجهت تركيا إلى مواءمة سياستها مع الأهداف الغربية، وبشكل يدفع موسكو إلى دعم التعاون الإيراني-الطاجيكي لموازنة السياسة التركية في المنطقة[29].

4. دور الطائرات المسيَّرة في الحرب الروسية-الأوكرانية:

أكد عديد من التقارير انخراط طهران في تصدير طائرات مسـيرة إلى روسـيا لدعم عملياتها العسكرية في أوكرانيا، ورغم نفي طهران صحة هذه التقارير فإنه يبدو أن ثمة اهتمامًا إيرانيًّا لتعزيز العلاقات مع روسيا في ذلك التوقيت، لا سيما منع الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين، من تحقيق انتصار عسكري وسياسي في هذه الحرب بشكل يؤدي إلى خروج روسيا مهزومة. ويبدو أن طهران تستفيد من استمرار هذه الحرب، لأن ذلك يعني استمرار حاجة روسيا إلى الدعم الإيراني في الوقت الذي تحتاج فيه طهران إلى الدعم السياسي الروسي لها في مجلس الأمن في مواجهة الضغوط الأمريكية. وهكذا، فإنّ تصدير طهران طائرات مسيرة إلى موسكو خلال الحرب الدائرة في أوكرانيا ساعد على تعزيز العلاقات مع موسكو في مواجهة واشنطن، وفي نفس الوقت موازنة النفوذ التركي، لا سيما بعدما اتجهت تركيا إلى تصدير طائرات «بيرقدار» إلى كييف، بيد أن انخراط إسرائيل في هذه الحرب يفرض تحديات أمام السياسة الإيرانية، فقد تضاعف واشـنطن دعمها لإسـرائيل وإقناعها بتقديم «القبة الحديدية» لأوكرانيا، ويبدو أن توسـيع الانخراط الإسرائيلي في هذه الحرب لا يزال يخضع لحسابات إسـرائيلية، وعلى رأسها العلاقة مع موسكو وتطورات الأوضاع على الساحة السورية، فيما تراهن كييف على تل أبيب التي سبق واتهمتها بالتقاعس عن دعمها أو محاولة دعم روسيا، التي تحتاج إليها في الساحة السورية التي تشكل أولوية بالنسبة إلى إسرائيل إذا ما قورنت بأوكرانيا، وليس من مصلحة إسرائيل التضحية بهذه المصالح مرة واحدة دون مقابل[30].

رابعًا: تحديات برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني:

يواجه برنامج الطائرات المسيَّرة الإيراني عديدًا من التحديات، لا سيما العقوبات الأمريكية، والضربات العسكرية الإسرائيلية، إذ يمكن الإشارة إلى هذه التحديات على النحو التالي:

1. الضربات العسكرية الإسرائيلية:

تعرضت طهران في الثامن والعشرين من يناير 2023م لسلسلة من الانفجارات التي استهدفت منشآت عسكرية حساسة في مدينة أصفهان، الواقعة على بُعد 350 كيلومترًا من العاصمة طهران، أحدها في مركز «توحيد» لتصنيع الأسـلحة والذخيرة والصناعات الدفاعية ومختبر للمواد والطاقة في مركز أبحاث تابع لوزارة الدفاع، والثاني استهدف مقرات لتصنيع وتخزين المسيرات الإيرانية، والثالث يتوقع استهدافه مواقع نووية. ونفذت التفجيرات بطائرات مسيرة

يزعم أنها تابعة لإسرائيل. وزعمت وزارة الدفاع الإيرانية أنها اعترضت إحدى الطائرات الثلاث المسيَّرة، وأشار مراقبون إلى رسائل تل أبيب بأن صناعة المسيرات الإيرانية باتت ضمن الأهداف الإسرائيلية، ورغبة إسرائيل في ظل عهد نتنياهو وحكومته اليمينية المتطرفة كبح جماح إيران ومواجهة قوتها المتنامية في صناعة المسيرات[31].

2. العقوبات الأمريكية:

أدرجت الخارجية الأمريكية في 03 فبراير 2023م على لائحة العقوبات الأمريكية ثمانية مواطنين إيرانيين يتولون مناصب قيادية في «بارافار بارس» (Paravar Pars)، وهي منشـــأة إيرانية تنتج طائرات دون طيار للقوة الجوفضائية التابعة للحرس الثوري الإيراني، ناهيك بإدراج أفراد وكيانات ذات صلة ببرنامج إيران لصناعة الطائرات دون طيار في 15 نوفمبر 2022م، و08 سبتمبر 2022م، و06 يناير 2023م، واعتبرت الخارجية الأمريكية أن الدعم العســـكري الذي يقدمه النظام الإيراني لروسيا يساعد على شحذ الحرب الوحشية الروسية ضد أوكرانيا، كما أنه تسبب بانتهاكات لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2231 الذي يحظر توفير إيران طائرات عسكرية دون طيار لروسيا[32].

ومع ذلك لايزال بعض الخبراء يشـــككون في فاعلية العقوبات الأمريكية باعتبارها أداة للحد من تطوير طهران قدراتها في مجال الطائرات المسيَّرة، فرغم العقوبات الأمريكية على كيانات مثل منظمة «القدس»، وشـــركة «صناعات الطائرات»، وشركة «فجر» لصناعة الطيران والمركبات وصناعات دعم وتجديد طائرات المروحية الإيرانية، وصناعات الطائرات الإيرانية، فإنّ قطاع الطيران الإيراني وصناعة الطائرات المسيَّرة استمرّا في التوسع، وسلمت إيران طائرات مسيرة وتصاميمها ومكوناتها وتدريبها إلى شركائها ووكلائها في العراق ولبنان واليمن، وكذلك إلـــى دول أخـــرى، خصوصًا بعد انتهاء حظر الأســـلحة الذي فرضته الأمم المتحـــدة على إيران في أكتوبر 2020م.

وهكذا، من غير المرجح أن يؤدي مزيد من ضوابط التصدير وضغط الشركات إلى الحد بشكل كبير من وصول إيران إلى هذه المكونات، لأسباب عدة، من بينها إدماج المكونات الأجنبية في برنامج قوي للطائرات من دون طيار بسلســـلة إمداد راسخة. وقد تستطيع الولايات المتحدة أن تعاقب الشركات التي تبيع تكنولوجيا مزدوجة أو متعددة الاستخدامات إلى إيران وغيرها من الدول، إلا أنها لا تســـتطيع منع بائعي هذه التكنولوجيا، بالإضافة إلى نهج القيادة الإيرانية التي تســـتخدم الأدوات المتاحة، من نخب النظام الملتحقين بالجامعات في الخارج، إلى التجسس الإلكتروني، للوصول إلى أحدث التقنيات[33].

3. تحديات تقنية وتمويلية:

وجد بعض الدراســـات أن القدرات الإيرانية لا تزال محدودة ولا تؤهلها إلى إعادة إنتاج طائرات متقدمة مماثلة تمامًا للنموذج الأصلي، ولم تظهر حتى الآن دلائل تؤكد حصول إيران على تقنية التخفي عن الرادارات، إذ يحتاج البرنامج الإيراني إلى ميزانية عســـكرية ضخمة للحصول على هذه التقنية، في الوقت الذي تخصص فيه الولايات المتحدة والصين ميزانيات عسكرية تعادل أضعاف الميزانية التي تخصصها إيران، ولا توجد حتى الآن أي إشارة تدل على سعي إيران للحصول على تكنولوجيا التخفي عن الرادار من الدول التي حصلت على هذه التقنية أو استنساخها[34]، فيما

أشـــار بعض التقديرات السياسية إلى أن استخدام روسيا للطائرات المســـيَّرة الإيرانية في حربها مع أوكرانيا قد كشف عن ثغرات جرى رصدها في البرنامج الإيراني، مثل الصوت العالي في أثناء حركة الطائرة، ما يسهل إمكانية رصدها. بالإضافة إلى قدرة أنظمة الدفاع المتطورة على كشف المسيرات الإيرانية وإســقاطها، ويشار في ذلك إلى الأنظمة الإسرائيلية مثل «القبة الحديدية» أو «باراك 8» ومنظومة التشويش الفعال في مواجهة «شاهد 136»، التي تعتمد على تقنية GPS بالنظر إلى خبرة إسرائيل في التعامل مع اختراق المسيرات الإيرانية لمجالها الجوي[35].

خامسًا: تداعيات برنامج الطائرات المسيَّرة على الأمن والاستقرار الإقليمي

رغم التحديات التي تواجه برنامج المســـيرات الإيراني، فإنّ طهران تواصل تطوير قدراتها، لذلك يتوقـــع أن تلقي إســـتراتيجية طهران في تطوير برنامـــج الطائرات المســـيَّرة بتبعاتها على الأمن والاستقرار الإقليمي على النحو التالي:

1. تصاعد سباق المسيَّرات في الشرق الأوسط:

يُتوقع أن يعزز إطلاق إيران لقمر صناعي عسكري من قدراتها، ويؤثر في معادلة الطائرات المسيَّرة فـــي المنطقة من خلال تزويد طهران باســـتقلالية عبـــر الأقمار الصناعية ونطـــاق جغرافي ممتد لطائراتها المســـيَّرة، وســـد نقاط الضعف اللوجســـتية لديها، وهو ما يجعل طهران لاعبًا رئيسيًّا في مجال الطائرات المسيَّرة في المنطقة، مع دول أخرى لن تقف مكتوفة الأيدي لفترة طويلة، إذ تواصل الرياض على ســـبيل المثال تطوير أسطولها من الطائرات المسيَّرة، بما في ذلك طائرة «صقر» التي يمكن أن تعمل بشكل كامل خارج نطاق الرؤية بفضل نظام مرتبط بالقمر الصناعي[36]، فيما تهدف أبوظبي إلى تعزيز صناعات الطائرات المسيَّرة مثل سلسلة «Yabhon» الإماراتية[37].

2. تأجيج الصراعات الإقليمية:

ويكون بسبب تصاعد المنافسة بين إيران وإسرائيل وتركيا على دعم الحلفاء الإقليميين، إذ حصلت ثلاث دول من أصل خمس في آسيا الوسطى على طائرات تركية، وهي كازاخستان وقيرغيزستان وتركمانستان، فيما أعلنت أوزبكســـتان أيضًا أنها بدأت في إنتاج هذه الطائرات، إذ يتوقع أن يكون لإنشاء طهران مصنع المسيرات في طاجيكستان تأثيره في تأجيج الصراع الطاجيكي-القرغيزستاني. ومن المرجح أن تكون هـ ذه العوامل قد دفعت طاجيكستان إلى الترحيب بقرار إيران بناء مصنع طائرات مسيرة داخل البلاد، إذ سيسمح للدولة الآسيوية ببناء قدرات عسكرية أكبر والدفاع عن مصالحها في حالة تعرضها لأي هجوم محتمل[38]. يضاف إلى ذلك الدور التركي فـــي تأجيج الصراع بين أذربيجان وأرمينيا، إذ يُعَدّ حصول الأولى على الطائرات التركية من طراز «بيرقدار» لنشـــرها ضد القوات الأرمينية في منطقة ناغورنو كاراباخ المتنازع عليها[39]، هو ما قد يدفع أرمينيا إلى الحصول على الطائرات المسيَّرة من طهران.

3. توسع الحروب بالوكالة:

خصوصًا بعـــد أن اتجهت طهران إلى تزويد الميليشـــيات الموالية لها بطائراتها المســـيَّرة، مثل ميليشيا حزب الله اللبناني وأنصار الله (الحوثيين) في اليمن، إذ تشير التقارير إلى حصول حزب الله

اللبناني والحوثيين على أنظمة المراقبة والاستطلاع الاستخباري (ISR)، توازي المستوى المتوفر لدى بعض دول المنطقة، فيما يشير بعض التقارير إلى امتلاك حزب الله أسطولًا من أكثر من 200 طائرة من دون طيار، بما فيها طائرات إيرانيـــة الصنع، مثل «أبابيل-2» و«مهاجر-4»، التي جرى استخدامها في عدد من المواقع في سوريا لدعم تدخل العمليات العسكرية لحزب الله، فيما استخدم الحوثيون الطائرات من طراز «قاصف» (Qasef-2K) وهي نسخة معدلة من «أبابيل» للاعتداء على الأهداف والمنشآت المدنية والاقتصادية. ومن ثم من المتوقع أن تتصاعد الحرب بالوكالة في المنطقة بفعل التكلفة المتدنية لاستخدام هذه الطائرات، نظرًا إلى حاجة اللاعبين الخارجيين والقوى الكبرى إلى الحفاظ على صورتهم وتجنب انكشافهم السياسي قدر الإمكان[40].

4. تنامي حروب المسيَّرات بين إيران وإسرائيل:

يعزز اســـتمرار طهران في تطوير برنامجها للطائرات المســـيَّرة من إغرائها بالشروع في عمليات «الحرب عن بُعد»، أو ما يطلق عليه بعض الخبراء «حرب الظل» التي تدور بين إسرائيل وإيران، إذ أوضح رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق آموس جادين أن «حرب الظل بين إسرائيل وإيران تظهر على كل الجبهات، في البحر والجو، حتى على الإنترنت، وفي بعض الأحيان على الأرض». وتبقـــى هذه الحرب محدودة ضمن نطاق معيّن، فرغم أن كلا الطرفين يوجه الضربات إلى الآخر، فإنهما لا يعلنان عن المسؤولية[41].

خـــلاصـــة

توظف طهران برنامج الطائرات المسيَّرة لتعزيز أهداف إستراتيجيتها العسكرية، لا سيما تعزيز قدراتها في مجال المراقبة والاســـتطلاع وتحقيق التوازن الإســـتراتيجي مع القوى المنافسة في المنطقـــة، والأهم أن طهران وظفته في تحقيق أهداف السياســـة الخارجية، لا ســـيما الدعاية السياسة للنظام الإيراني، وتأكيد هيبتها السياسية على الساحة الخارجية، وكسر حاجز العزلة الدولية وكسب الأصدقاء والحلفاء، وترســـيخ نفوذها السياســـي في المناطق الإستراتيجية ومنافسة القوى المنافسة مثل إسرائيل وتركيا ودول الخليج العربية.

وقد أثبتت سياســـة المســـيرات الإيرانية فاعليتها في تعزيـــز الحضور والنفـــوذ الإيراني في المناطق الإســـتراتيجية، لا سيما في آسيا الوسطى والمغرب العربي، لكـــن في المقابل لم تحقق الطائرات المسيَّرة الإيرانية أي إنجاز إستراتيجي عند اختبارها في عديد من الساحات والحروب، غيـــر أن دورها ظل يقتصر على دور تخريبي يســـتهدف تعطيل أو تدمير المنشـــآت الاقتصادية والنفطية ومحطات الطاقة والكهرباء وغيرها.

ورغم التحديات التي تواجه تطوير طهران لقدراتها في مجال الطائرات المســـيَّرة، لا ســـيما الضربات الإسرائيلية والعقوبات الأمريكية التي تستهدف المؤسســـات والخبراء الإيرانيين المرتبطيـــن بالبرنامج، فإنـــه من المتوقع أن تمضي طهـــران في تطوير قدراتها فـــي هذا المجال، خصوصًا في سياق تصاعد السباق الدولي والإقليمي للتسلح بالطائرات المسيَّرة، ناهيك بتنامي حروب الوكالة بين طهران والمنافسين الإقليميين، وأيضًا تصاعد ما يسمى بـ«حروب الظل» بين إسرائيل وإيران في المنطقة.

المراجع والمصادر

(1) Grant J. Cassingham, Remotely Effective, «Unmanned Aerial Vehicles, The Information Revolution in Military Affairs, and The Rise of the Drone in Southeast Asia», Master's thesis, (Monterey, California: Naval Postgraduate School, September 2016). pp. 57 -55

(2) فرزين نديمي، لعبة إيران في مجال الطائرات دون طيار، (02 فبراير 2022م)، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، تاريخ الاطلاع: 30 مارس 2023م. http://bit.ly/3TSRxPL

(3) فرزين نديمي: لعبة إيران في مجال الطائرات دون طيار، مرجع سابق.

(4) Grant J. Cassingham, Ibid., Pp. 57 -55

(5) Bne Intelli News, The rise of Iran's drone and ballistic missile industry, (Oct 2022 ,24), accessed on Mar 2023 ,30. http://bit.ly/3M30KD1

(6) Majid Rafizadeh, «The growing threat of Iran regime's drone industry», Arab news, (Feb 2023 ,16), accessed on Mar 2023 ,30. https://arab.news/5ms2m

(7) Iran Watch, Has Iran Become the Master of its Drone Destiny? (Oct 2022 ,12), accessed on Mar 2023 ,30. http://bit.ly/3M4fqlE

(8) فرزين نديمي، لعبة إيران في مجال الطائرات دون طيار، مرجع سابق.

(9) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones The Race to Lethal Uavs and Its Implications for The Region's Security Landscape, Ispi Analysis, (Jan 2021 ,14), accessed on Mar 2023 ,30. https://bit.ly/3lME1Rj

(10) Amer Ababakr, The Iranian Drones and the Battlefield of West Europe?, modern diplomacy, (Oct 2022 ,29), accessed on Mar 2023 ,30. https://bit.ly/40umnAC

(11) Katherine Zimmerman, «The dangers of Iran's drones in Ukraine», The Hill, (Oct 2022 ,30), accessed on Mar ,30 2023. http://bit.ly/433z3jQ

(12) The rise of Iran's drone and ballistic missile industry, Ibid.

(13) Majid Rafizadeh, «The growing threat of Iran regime's drone industry», Ibid.

(14) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones, Ibid.

(15) Fouad Shahbazov,»Iran's «Game of Drones» in the Middle East», the Gulf International Forum, (June 2022 ,15), accessed on Mar 2023 ,30. http://bit.ly/3JZhAQQ

(16) Katherine Zimmerman,»The dangers of Iran's drones in Ukraine», Ibid.

(17) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones..., Ibid.

(18) أحمد بن ضيف الله القرني، الطائرات المسيرة في الحرب الأوكرانية.. سلاح فعال في مستقبل الحروب، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، (25 أغسطس 2022م)، http://bit.ly/3Zs054j

(19) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones..., Ibid.

(20) الميادين، إيران تدشن مصنع مسيرات «أبابيل 2» في طاجاكستان، (17 مايو 2022م)، تاريخ الاطلاع: 30 مارس 2023م. https://bit.ly/3M4jTV

(21) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones..., Ibid.

(22) United Against Nuclear Iran, Ibid.,p.4

(23) Mohammad Hashemi, Iran's Drone Diplomacy: Enhancing Tehran's Regional Competitiveness», the Gulf International Forum, (Jul 2022 ,10), accessed on Mar 2023 ,30. http://bit.ly/3JWrz9w

(24) Ideam

(25) حوليك كينيك وسينم جليك: دور المسيرات التركية في الفاعلية العسكرية لأذربيجان، (رؤية تركية، شتاء 2022)، ص119-126.

(26) Eric Lob, Iran's drone factory in Tajikistan, Middle East Institute, (Jun 2022 ,3), accessed on Mar 2023 ,30. http://bit.ly/4156L6P

(27) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones..., Ibid.

(28) Agha Hussain, «Iran's drone factory in Tajikistan: A boon for Russia or a challenge?» manara magazine (Jun ,27 2022), accessed on Mar 2023 ,30. https://bit.ly/40DHwYW

(29) Agha Hussain, op.cit.

(30) أحمد عليبة، أوكرانيا.. ساحة جديدة للتنافس بين إيران وإسرائيل، تقديرات إستراتيجية، (القاهرة: مركز الاهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، أكتوبر 2022م)، ص3.

(31) المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، اختراق في العمق.. أبعاد الهجوم الخارجي بالمسيرات على إيران، (30 يناير 2023م)، تاريخ الاطلاع: 30 مارس 2023م. http://bit.ly/40OIOAy

(32) وزارة الخارجية الأمريكية، الولايات المتحدة تفرض عقوبات على قيادة مصنع إيراني لطائرات دون طيار، بيان لوزير الخارجية أنتوني ج. بلينكن، (03 فبراير 2022م)، تاريخ الاطلاع: 30 مارس 2023م.

(33) Eric Lob and Edward Riehle,» The Difficulty of Disrupting Iranian Drones», the national interest, (January ,14 2023), accessed on 3Mar 2023 ,30. http://bit.ly/3FZ2GZF

(34) ضياء قدور، الطائرات الإيرانية المسيرة: القدرات ونقاط الضعف، آرام، (01 مايو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 30 مارس 2023م http://bit.ly/40LwtNh.

(35) أحمد عليبة، مرجع سابق، ص3.

(36) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones..., Ibid.

(37) Ibid.

(38) Elisabeth Gosselin-Malo, Drone race in Central Asia in the wake of the Taliban takeover, TRENDS Research & Advisory, (Aug 2022 ,14), accessed on Mar 2023 ,30. https://bit.ly/42TVzva

(39) Federico Borsari, The Middle East's Game of Drones..., Ibid.

(40) Ideam.

(41) كيرستين كنيب، هل تحرج حرب الظل القائمة بين إسرائيل وإيران إلى العلن؟، DW، (06 أغسطس 2021م(، تاريخ الاطلاع: 30 مارس 2023م. http://bit.ly/3zkSsim